

المجلة

مجلة أسبوعية للتفكير والعلم والفنون

ARRISSALAH.
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومدبرها
ورئيس تحريرها للمستول
احمد حسن الزيات

الرواية

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - حايدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

يدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن المدد
الوجهات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٤٩٢ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٦١ - الموافق ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٢» السنة الماشرة

٣ - دفاع عن البلاغة

حد البلاغة

تسألني بعد ذلك عن البلاغة التي أعنيها وأدفع عنها : أم هي بلاغة العقل العربي التي تجلت في ثمر ابن المقفع والجاحظ والبيديع ، وارتسمت في منهج أبي هلال وعبد القاهر ؟ أم هي بلاغة العقل اليوناني التي تتمثل في كلام الأصوليين والجدليين والمناطقية ، واستغرقت في قواعد السكاكي والسمد ؟ أم هي بلاغة المعنى أم بلاغة اللفظ ؟ أم بلاغة الفكر أم بلاغة الأسلوب ؟ والجواب أن البلاغة التي أعنيها وأدفع عنها هي البلاغة التي تحدد بها القرآن أمراء القول في عهد كان الأدب فيه صورة الحياة وترجمة الشعور وعبارة العقل . هي البلاغة التي لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ؛ إذ الكلام كائن حي ، وروحه المعنى وجسمه اللفظ ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفساً لا يتمثل ، والجسم جاداً لا يحس ومن العجيب أن كان في أم البلاغة الثلاث : اليونان والرومان والعرب ، من فصلوا بين القلب واللسان ، وفرقوا بين المنطق والفن . ففي اليونان - وهي الأمة التي نشأت البلاغة في حضارة الفلسفة ، وجملت الشعر والخطابة قسمين من أقسام المنطق - كان للبلاغة مذهبان : مذهب الفلاسفة ؛ ومن رجاله بركليس وديمستين ؛ ومذهب البيانين ؛ ومن رجاله السوفسطائيون والمتشدقون من أمثال طراسياك وجئرجياس .

الفهرس

صفحة

١١١٣	دفاع عن البلاغة ... : احمد حسن الزيات ...
١١١٥	الشباب والكهولة بين { الأستاذ محمد كامل سليم بك توديع وترحيب ...
١١١٨	الشوقيات ... : الدكتور زكي مبارك ...
١١٢٦	نخش وباب ... : الأستاذ اسماعيل مظهر ...
١١٢٣	ميليزاد الأميرة ... : الأستاذ صلاح الدين المنجد
١١٢٤	خزاعة الراهوس في دار { الأستاذ ميخائيل عواد ... الحلانة العباسية يفتاد ...
١١٢٦	النكرمل في قبضة الحق : الأستاذ سميد الأنصاري ...
١١٢٧	المصريون المحدثون : شمائلهم { المستشرق « إدورد ولين » وعادلتهم ... : بقلم الأستاذ عبد طاهر نور
١٢٣٠	آراء حديثة في السجع ... : الأستاذ محمود السيد أبو السعود
١١٣١	حول اختلاف القراءات أيضاً : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
١١٣٢	حفاظ القرآن في عصر النبوة : الأستاذ محمد غسان ...
١١٣٢	نسبة شعر ... : الأديب محمد بشير ...

وفي العرب كانت مذهب المنويين ومذهب اللغظيين ،
أو مذهب أهل العراق ، ومذهب أهل الشام . وكان هذان المذهبان
أول الأمر يتاسان من شدة التقرب كما تراهما بين أسلوب الجاحظ
وأسلوب ابن العميد . فلما فسدت الطباع وأعلنت القرائح صار
بينهما من البعد ما بين براعة ابن خلدون و غشاة القاضي الفاضل
ولقد اختلفت التعريفات على مدلول البلاغة باختلاف تصور
الناس لها وتأثرهم بها وغرضهم منها ، ولكنها تعريفات مقتضبة
لا تكاد تكشف عن جوهرها الفنى لا من جهة النظر ولا من
جهة العمل . ولعل أول من حاول شرح البلاغة على نحو يشبه
الفن ابن المقفع إذ قال : « البلاغة اسم لمان تجرى في وجوه
كثيرة : منها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ،
ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجما ، ومنها ما يكون
خطبا ، وربما كانت وسائل . فسامة ما يكون من هذه الأبواب ،
فالوحى فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ . والإيجاز هو البلاغة » .
ومن أمثلة الأقوال المقتضبة قول ابن المعتز : « البلاغة هي البلوغ
إلى المعنى ولما بطل كسفر الكلام » . وقول الخليل : « البلاغة
هي ما قرب طرفاه وبعد منتهاه » .

ولبلغاء العرب في البلاغة أقوال تشبه ما قال بلغاء العرب
في إجمال المعنى وبمد الإشارة . قال لاهارب : « البلاغة هي
التمبير الصحيح عن عاطفة حق » . وقال سورين : « هي الفكرة
الصائبة ، ثم الكلمة المناسبة » . وقال لا بروير : « هي نعمة
روحية تولينا السيطرة على النفوس » . ولقد تخيلها (سنيك) إلها
مجهولا في صدر الإنسان . ومثلها القدماء في صورة إله يتكلم
فيخرج من فيه سلاسل من الذهب تسلك السامعين فلا يفلت
منهم أحد . والتمثال على هذا الوضع لا يمثل غير بلاغة الخطيب
والناظر المتقصى في أقوال هؤلاء وأولئك يستطيع أن
يستخلص من جملتها أن البلاغة هي بمعناها الشامل الكامل
ملكه يؤثر بها صاحبها في عقول الناس وقلوبهم من طريق
الكتابة أو الكلام . فالتأثير في القول عمل الوهبة للملمة
المنسرة ؛ والتأثير في القلوب عمل الوهبة الجاذبة المؤثرة ؛
ومن هاتين الوهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكل صورة .
وتحليل ذلك أن بلاغة الكلام هي تأثير نفس في نفس ، وفكر
في فكر . والأثر الحاصل من ذلك التأثير هو التنبل على مقاومة
في هوى المخاطب أو في رأيه . وهذه المقاومة قد تكون فاعلة

كسبق الإصرار أو الميل أو العزم ؛ وقد تكون منفعة كالجهد
أو الشك أو التردد أو خلل الذهن . فإذا كانت منفعة كانت
ضعيفة لا يحتاج في قهرها إلى الوسائل البلاغية القوية ؛ فالمرء
يجهد أو يشك أو يتردد ربنا تبها له أن يعلم أو يستيقن أو يجزم ؛
وهو في مثل هذه الأحوال تكفيه الحقيقة البسيطة للاستفادة من
(التعليم) . وقد يكون مع الجهل زيف العلم ، واعتساف الحكم ،
وخلل الرأي الثابت باستمرار المادة ، وفساد الوهم القائم على قوة
القرينة . وحينئذ لا بد أن تتناصر قوى العقل جماء على كسر
هذه المقاومة من طريق البرهان ؛ وذلك عمل الجدل ، والجدل
عصب البلاغة . وربما حدث مع ذلك كله أو بدون ذلك كله ،
فتور في الطبع فلا ينشط للحديث ولا يرتاح إلى رأى . وهنا يجب
على صاحب البلاغة أن يدفع السأم ويحرك النشاط ، فيوئى
الحقيقة بخياله ، ويحيى الأسلوب بروحه ، ويجذب للقارى بفته .
وفي هذه الحال يظهر فضل البلاغة على الفلسفة

وقد تكون المقاومة ضعيفة أو معدومة من جهة العقل ؛
ولكنها تكون قوية عارمة من جهة النفس . فأنا لا أمارى
في أن هذا هو الحق ولكنى أستقله ، أو هو الفضل ولكنى
أستردله ، أو هو النفع ولكنى يجهد نفسى ويجهز قواى ،
أو هو العدل ولكنه يمارض نفسى وبصادم هواى . فجهد البلاغة
هنا يجب أن يوجه إلى النفس من طريق التأثير ، لا إلى العقل
من طريق الإقناع

فإذا اجتمع على مقاومة البلاغة العقل والهوى : هذا يجهد
أو نفوره ، وذلك بإصراره أو قصوره ، كان هنا ميدانها الأول
وجهادها الخطير . لقد حشد لها المدو جميع قواه فيجب أن ترتب
كسبره وتستعد له . وهى على حسب ما تقتضيه الحال إما أن
تهاجم الرأى فتخضع بخضوعه الإرادة كالمها مع القاضي ، وإما أن
تهاجم الإرادة فيخضع بخضوعها الرأى كالمها مع الجمهور

أما الغرض من تحليل هذا التعريف فهو تجلية المراد من قول
البيانيين إن البلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال .
فليست الأحوال المعروضة أو المفروضة إلا انفعالات المواطن
في النفس ، أو اتجاهات الخواطر في الذهن . وليست مقتضياتها
إلا الصور البلاغية المناسبة التى يهتدى إليها البليغ بطبعه أو فنه
فيؤثر بها في هذه المواطن أو في تلك الخواطر التأثير الذى يزيد...